الشرق الأوسط
ASHARQ AL AWSAT
جريدة العرب الدولية

الثلاثاء 06 ذو الحجة 1422 هـ 19 فبراير 2002 العدد 8484

بريد طباعة

مفتاح الخروج من الأزمة: قرار دولي صريح.. التزام إسرائيلي صريح.. ضمان عربي صريح..

غازي القصيبي

نقل الصحفي الأمريكي المعروف توماس فريدمان في مقال له نشرته جريدة «النيويورك تايمز» (الاحد 17 فبراير 2002) ان سمو ولي العهد السعودي الأمير عبد الله بن عبد العزيز قال له خلال لقاء صحفي انه كان ينوي القيام بمبادرة اثناء مؤتمر القمة العربي القادم تتضمن اعتراف الدول العربية بإسرائيل مقابل التزام اسرائيل الكامل بالانسحاب من الاراضي العربية المحتلة عام 1967 وقيام دولة فلسطينية مستقلة. وتضمن المقال جملا موجزة منقولة عن الأمير عبد الله، وهذه الجمل لا تعطي فكرة وافية عن خلفيات المبادرة السعودية التي كان ولي العهد يفكّر فيها ولا توضح شروطها ولا أسسها.

حقيقة الامر ان ولي العهد، الذي تشغل قضية فلسطين معظم تفكيره، لم يدخر جهدا في الوصول الى حل ينهي المأساة التي تجثم على صدر الشعب الفلسطيني، والتي تتمثل في الاغتيال والقتل والحصار وحرق المنازل والحقول. وكان تحرك ولي العهد يتم على اكثر من ميدان. في ميدان الدعم الاقتصادي، كان الامير عبد الله صاحب فكرة انشاء صندوقي دعم الانتفاضة، وكانت مساهمة المملكة في الصندوقين الاكبر من بين الدول العربية. على المستوى السياسي، بدأ الامير عبد الله حوارا واضحا صريحا مع الرئيس الامريكي جورج بوش، اتخذ شكل رسائل متبادلة انتهت بموقف امريكي جديد يتضمن لاول مرة، اعترافا مباشرا من رئيس الولايات المتحدة بدولة فلسطينية مستقلة. ثم حدث ما حدث، انشغلت امريكا بحربها ضد الارهاب، وانزوت القضية الفلسطينية في ركن مظلم في آخر الاولويات الامريكية الراهنة.

وفي هذه الاثناء لم تنقطع اتصالات الامير عبد الله الدولية بمبعوثي الولايات المتحدة، ورسل الدول الغربية، وموفدي الدول الصديقة من كل مكان في العالم. وكالعادة، كانت قضية فلسطين تمثل المحور الاساسي في هذه الاتصالات. خلال هذه المباحثات كان هناك دائما سؤال يطرح على ولي العهد: «لماذا لا يقوم العرب انفسهم بمبادرة تكسر الجمود؟ لماذا تنتظرون ان يتحرك العالم ولا تتحركون أنتم؟». وكان رد الأمير عبد الله المنطقي: «وما هي طبيعة المبادرة التي تتوقعونها من العرب؟» وكان الرد: «طمأنة الشعب الاسرائيلي الى ان السلام لن يقود الى مزيد من العنف داخل اسرائيل. ان الساسة المتطرفين في اسرائيل يخوفون شعب اسرائيل من السلام ويؤكدون انه سيجيء بالمزيد من العنف ويهدد بقاءهم كشعب. لماذا لا تطمئنونهم؟» وكان رد الأمير عبد الله: «لو التزمت اسرائيل بمبدأ الانسحاب الكامل والاعتراف بدولة فلسطين المستقلة، لما وجد هناك عائق يحول دون تقديم الدول العربية هذه الطمأنة».

كان الأمير عبد الله يقول لمحدثيه: «لقد قبل الفلسطينيون التنازل عن معظم اراضيهم مكتفين بجزء منها. وقبلوا الاعتراف بحق اسرائيل في البقاء. واعلنوا التخلي عن العنف واختيار طريق السلام فماذا كانت النتيجة؟ المزيد من المذابح». وكان الامير عبد الله يضيف: «كلما جاءت حكومة اسرائيلية جديدة، جاءت معها سياسة جديدة تعيدنا الى نقطة الصفر. كيف يمكن ان تطلبوا من العرب الالتزام الواضح بسلامة اسرائيل وأمنها واسرائيل الى هذه اللحظة لم تلتزم بشيء واضح محدد؟». وعندما كان المندوبون يشيرون الى قرارات الامم المتحدة المتتالية كان الأمير عبد الله يقول: «هل اعترفت اسرائيل بشيء منها؟ اسرائيل تفسر قرار 242 وقرار 338 على النحو الذي يناسبها والذي يختلف جذريا عن تفسير

العرب. كيف نقيم سلاما بين طرفين احدهما يلتزم التزاما واضحا بالقرارات الدولية والآخر لا يلتزم بشيء؟». وكان سؤال المفاوضين للأمير: «وماذا تقترحون للخروج من الأزمة؟». وكان الرد: «لا بد من قرار واضح يصدر من مجلس الامن لا يحتمل اي تأويل او تفسير: قرار ينص على الانسحاب الكامل من الاراضي العربية المحتلة جميعها، ويشمل ذلك الانسحاب من المستوطنات وقيام دولة فلسطينية حقيقية مستقلة عاصمتها القدس». وكان الامير عبد الله يوضح موقفه هذا قائلا: «هل في هذا شيء جديد؟ اليس هذا فهم العالم كله للقرارات الدولية؟ اليست هذه «الرؤية» التي تحدث عنها الرئيس الامريكي ووزير خارجيته؟ اليس هذا هو الموقف الموحد لاوروبا؟». وهنا كان السؤال الذي يتلقاه الامير عبد الله: «واذا صدر قرار كهذا، ماذا سوف يكون موقفكم؟».

يمضي الأمير عبد الله قائلا: «القرار الدولي الواضح خطوة اولى اساسية، ولا بد ان تتبعها خطوة اساسية ثانية هي قبول اسرائيل بهذا القرار بلا قيد ولا شرط». ويذكّر الامير عبد الله المندوبين بما حدث خلال السنوات العشر الماضية: «قال شامير انه كان ينوي ان يفاوض الى الابد ولا يقدم شيئا. بعد ذلك جاءت اتفاقيات اوسلو ثم جاء نتنياهو يقول انه لا يعترف بها وينوي نسفها، وظل فترة طويلة يرفض حتى مقابلة الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات. وجاء ايهود باراك وفي ايام حكمه الاخيرة ترددت انباء عن تنازلات اسرائيلية لا يعرف احد حتى هذه اللحظة حقيقتها، ولم تسجل في وثيقة رسمية. ثم جاء شارون، واعلن رفضه مجددا لاتفاقيات اوسلو، وبدأ سياسة من الواضح انها لا تستهدف سوى قتل العملية السلمية واعادة احتلال الضفة الغربية. في ضوء هذه التجربة المريرة، لن يقتنع الفلسطينيون ولا العرب بمفاوضات تراوح في مكانها. لا بُدّ من التزام صريح من اسرائيل بقبول الانسحاب وقيام الدولة، وهذا الالتزام يجب ان يأتي من مؤسسات اسرائيل الدستورية، ولا يكفي ان يلتزم حزب بجزء منه ويرفضه حزب آخر، جملة وتفصيلا».

في هذه المرحلة من الحديث يتبين محدّثو ولي العهد ان الأمر اكبر من مجرّد التزام عربي بسلامة اسرائيل، إلا ان البحث عن حل لا يتوقف. يقولون: «ماذا لو افترضنا ان القرار الدولي صدر، وان اسرائيل التزمت به التزاما كاملا واضحا، ألا يكون من واجب العرب اتخاذ بادرة ايجابية موجهة الى شعب اسرائيل تؤكّد له انه سيعيش في أمان وبلا خوف مع جيرانه؟»، ويأتي رد الأمير: «حين يصدر القرار الدولي الواضح، وحين تلتزم اسرائيل به التزاما واضحا، يصبح من المعقول ان نطالب العرب بتقديم ضمانة للشعب الاسرائيلي. بدون تحقق الشرطين الاولين، تصبح اي ضمانة يقدّمها العرب مكافأة لمذابح شارون». عند هذا الحد يتلقى الامير عبد الله السؤال: «وهل يمكن ان تتبنّى المملكة مبادرة عربية من هذا النوع؟». ويجيء الرد: «هدف المملكة، كان ولا يزال، حصول الشعب الفلسطيني على حقوقه. وعندما يصدر القرار الدولي ويُعلن الالتزام الاسرائيلي به وتقوم الدولة الفلسطينية المستقلة، فإن المملكة لن تزايد على اشقائها الفلسطينيين. اذا اتخذت الاسرة الدولية مبادرة القرار الواضح، واتخذت اسرائيل مبادرة قبول القرار بلا قيد ولا شرط، سوف يتخذ العرب مبادرة الضمان».

هذه هي الخلفيات الكاملة لمبادرة الامير عبد الله. ولا يملك اي مراقب موضوعي إلا ان يسلّم انها الامل الوحيد في المخرج من الازمة الحالية الخانقة. ان الكرة الآن في ملعب الاسرة الدولية، ولن تخرج من ملعبها، إلا بقرار دولي صريح. بعد ذلك ستنتقل الكرة الى الملعب الاسرائيلي، ولن تخرج منه الا بالتزام اسرائيلي صريح. عندما تصل الكرة الى الملعب العربي سيجد العالم ان العرب الذين كافأوا الاحتلال بالنضال ليسوا عاجزين عن مكافأة السلام بالسلام. واحسب ان هذا ليس موقف ولي العهد السعودي وحده; احسب ان هذا هو موقف الامة العربية كلها.

Like 0 Tweet Share

بريـد طبـاعة